قصص من السيرة

١

النَّسَبُ النَّبَوِيُّ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشياح

العبيكان
Obeikan

قصص من السيرة
(١)

النسب النبوي

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن العبيكان

العبيكان
Obeikan

ⓒ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن

قصص من السيرة: النسب النبوي./ عبدالعزيز بن عبدالرحمن العبيكان -ط٢ -الرياض، ١٤٤٣هـ

٢٤ ص ؛ ١٦,٥ × ٢٢سم

ردمك: ٠-٤٥٨-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٤٣/١٠٨٦٠

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية-الرياض

طريق الملك فهد-مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

تواصل معنا CONTACT US

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه مجموعة قصصية مختارة، جاءت بعد قراءةٍ متأنيةٍ لسيرة المصطفى ﷺ العطِرَة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وفي بعض الكتب الأخرى القديمة والحديثة.

وتركز جُهدي على جمع الموضوع الواحد، وربط أحداثه بعضها ببعض، ومن ثَمَّ إعادة صياغته وإخراجه في قصّةٍ مستقلةٍ بذاتها.

أسأل اللهَ أن يرزقنا شفاعة المصطفى ﷺ في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم.

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثّنيَّان

الرياض ١٤٤٣هـ٢٠٢٢م

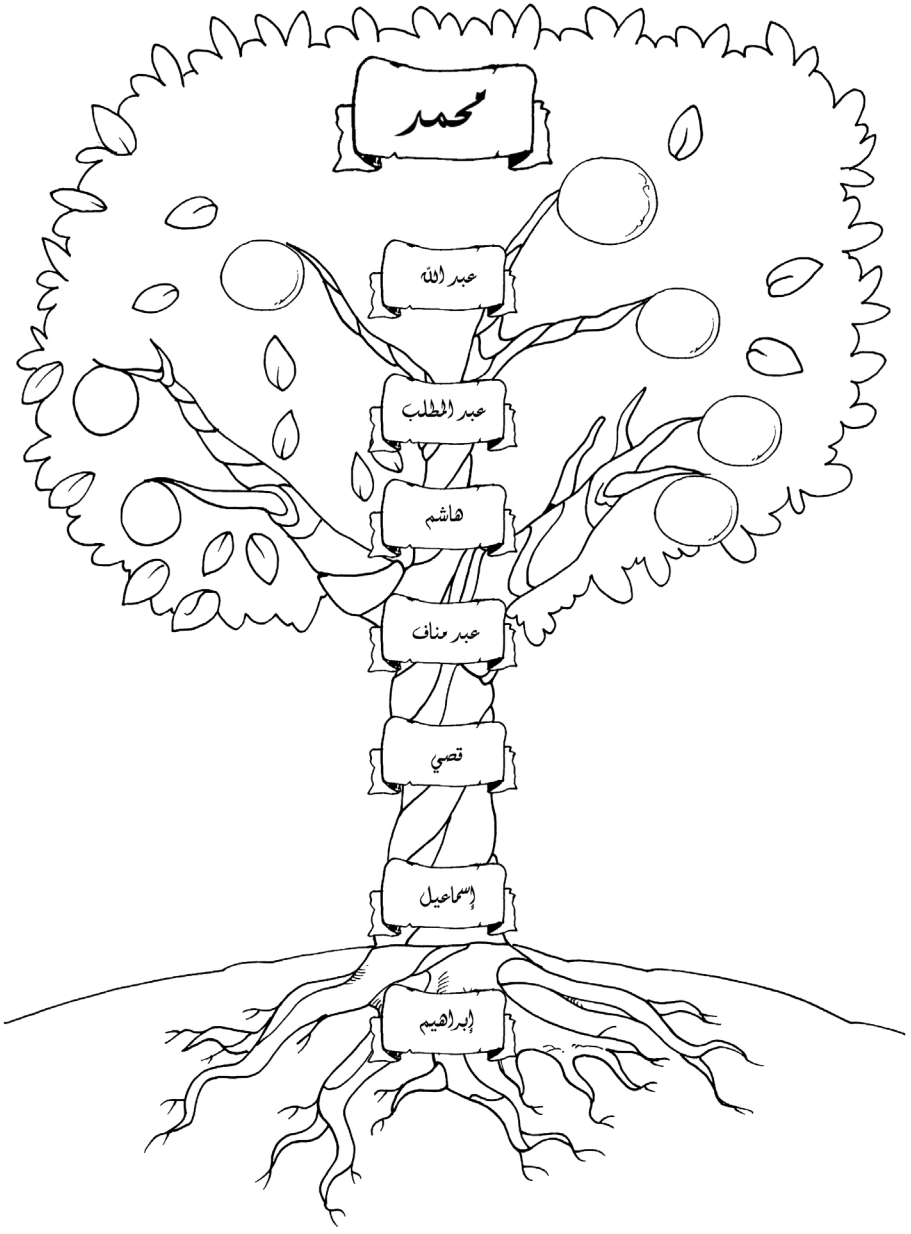
محمد
عبد الله
عبد المطلب
هاشم
عبد مناف
قصي
إسماعيل
إبراهيم

قال ﷺ: «ما ولدتني بغيٌّ قط منذ كنت في صلب آدم، فلم تزل تنازعني الأمم كابرًا عن كابر، حتى خرجت من أفضل حيِّين من العرب؛ هاشم، وزهرة»[1].

وقال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[2].

وصدق المصطفى ﷺ، فقد ولد في أفضل الأحياء، ونشأ في أكرم البقاع؛ ومن هنا كان لزامًا على من يتصفح سيرة هذا النبي الكريم أن يعرف سيرة آبائه الكرام، وأجداده العظام، وكيف سادوا قومهم؟ وما هي مكانتهم عند العرب؟

سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن صفاته ﷺ، وقال له: كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسبٍ.

قال هرقل: كذلك الرسل تُبعث في أنساب قومها. يعني في أكرمها أحسابًا وأكثرها قبيلة[3].

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣/ ٤٠١) عن أبي هريرة، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية (٣/ ٣٦٣). وذكره الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٣٤). وقال: وهذا إسناد ضعيف جدًّا سهل بن عمار هذا، قال الذهبي : «متهم كذبه الحاكم». وأحمد بن محمد بن شعيب إن كان هو أبا سهل السجزي فقد اتهمه الذهبي برواية حديث كذب. وإن كان غيره فلم أعرفه. وخلاصته: أن الحديث من قسم الحسن لغيره عندي، لأنه صحيح الاسناد عن أبي جعفر الباقر مرسلًا، ويشهد له الطريق الأولى عن علي، والثانية عن ابن عباس، لأن ضعفها يسير محتمل. وأما بقية الطرق فإنها شديدة الضعف، لا يصلح شئ منها للاستشهاد بها.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ١٧٨٢ رقم٢٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري: (١/ ٨ رقم٧). وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٥٩).

لقد كان بيت النبوة من أعزّ البيوت العربية، وأعلاها شرفًا، وأسماها قدرًا، وأجلّها مكانة، وأبرزها جاهًا.

فهو المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرشي محمد بن عبدالله بن عبدالمطّلب (شيبة) ابن هاشم (عمرو) ابن عبد مناف (المغيرة) ابن قُصي بن زيد بن كِلاب بن مُرّة بن كعبٍ بن لؤيٍ بن غالبٍ بن فهرٍ بن مالكٍ بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) ابن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدٍّ بن عدنان.

وسُمِّيت قريشٌ قريشًا من التقريش، وهي التجارة والاكتساب، وقيل: إنما سميت بذلك لتجمُّعِها من بعد تفرّقها، ويقال للتجمّع: التقريش.

وسأتناول أجداد الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأدنَيْن، وأعرض لشيءٍ من سيرتهم التي تصوّر مكانتهم في قومهم.

فعبدُ المطّلب جدُّ الرسول الأول اسمُه شيبة، وعاش مئةً وأربعين سنة، وعُرف بعبد المطّلب؛ لأن أباه هاشمًا كان قد شخص في تجارةٍ له إلى الشام، فسلك طريق المدينة المنورة، فلما قدِم المدينة نزل فيها، فرأى سلمى بنت عمرو بن زيد من بني عدي بن النجار، فأعجبته فخطبها إلى أبيها عمرو، فزوّجه إياها، وشرط عليه أبوها ألا تلد ولدًا إلَّا في أهلها، وارتحلت معه إلى مكة، فلما أثقلت ردّها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بغزّة.

وولدت سلمى غلامًا سمّته شيبة، قيل: سمّته شيبة؛ تفاؤلًا، وقيل: لأنه ولد وفي رأسه شيبة. ومكث الطفل بيثرب سبع سنين أو ثمان، حتى مرّ رجل من بني الحارث بيثرب، فرأى غلمانًا يلعبون بالسهام، وكان من بينهم واحدٌ كلما أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء.

فقال الحارثيُّ: من أنتَ؟

قال: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف.

فلما أتى الحارثيُّ مكَّة قال للمطَّلب بن عبد مناف، وهو جالس في الحجر: يا أبا الحارث، إنِّي مررت بيثرب فوجدت غلمانًا يلعبون بالسهام، وفيهم غلامٌ إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء.

فقال المطّلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به.

فقال له الحارثيُّ: هذه ناقتي بالفناء فاركبها.

ومن فوره امتطاها المطّلب، وورد يثرب عشاءً، حتى أتى بني عدي ابن النجار، فإذا غلمان يضربون كرةً بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟

قالوا نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم أمّه، فإنها إن علمت لم تدعه، وحلنا بينك وبينه.

فدعاهُ المطّلب وقال له: يا ابن أخي أنا عمُّك المطّلب، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك، وأناخ راحلته، فأسرع الغلام إليه، وما كَذَّب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به، ولم تعلم أُمُّه، حتى كان الليل، فقامت تدعوه، وانطلقت تسأل عن ابنها، فقيل لها: إن عمّه ذهب به إلى مكة.

وقدم المطّلب به مكة وهو مردفُه على بعيره، فقالت قريش: عبد المطّلب ابتاعه، وبذلك سمِّي شيبةُ عبد المطّلب، ولكن المطّلب قال: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدِمت به من المدينة[1].

(١) الروض الأنف (١/ ٢٥١).

وقيل: إن المطّلب لما ورد المدينة ورغب في إركاب الغلام على الراحلة، قال الغلام: ذلك إلى أمِّي، فلم يزل بها حتى أذنت له.

وقال عبد المطّلب:

عرفتُ شـيبةَ والنجَّار قد جعلَت أبناؤهـا حولـه بالنَّبـلِ تنتضـلُ

وأكرم المطّلب ابنَ أخيه شيبة الذي سُمِّي فيما بعد بعبد المطّلب.

وأوقفه المطّلب على ملك أبيه هاشم، وسلّمه إليه.

وكان المطّلب قد ورث السقاية والرفادة من بعد أخيه هاشم، وكان ذا شرفٍ في قومه وفضلٍ في عشيرته، وكانت قريش تُسمِّيه الفيض؛ لسماحته وفضله.

وتوفي المطّلب بردمان من أرض اليمن، وتبارى الشعراء في رثائه، يقول أحدهم:

يا عين جـودي واذرِ الدَّمعَ وانهمري وابكي على السرِّ من كعبِ المُغيراتِ[1]
صعـبِ البديهـةِ لا نكـسٍ ولا وكِلٍ مـاضي العزيمةِ متـلافِ الكريماتِ[2]
صقـرٍ توسّـطَ مـن كعـبٍ اذا نُسِـبوا بُحبوحـةَ المجدِ والشُّـمَّ الرَّفيعاتِ[3]
ثـم انـدبي الفيـضَ والفيَّـاضَ مُطّلِبًا واسـتخرطي بعدَ فَيْضاتٍ بجمَّاتِ[4]

وغلب اسم عبد المطّلب على اسم شيبة، وصار يُعرف بعبد المطّلب، وعاش كريمًا بين قومه.

---

(١) السر: الخالص.

(٢) النكس: الدنيء من الرجال. والوكل: الضعيف الذي يتوكل على غيره.

(٣) البحبوحة: وسط الشيء. والشمَّ: العالية.

(٤) استخرطي: استكثري. والجمَّات: المجتمع من الماء، واستعاره هنا للدموع.

ومضت الأيام، ونما الطفل، وأيفع الفتى، ثم صارت له مشكلة مع عمّه نوفل، فقد غلبه عمُّه على بعض أملاكه التي ورَّثها له أبوه هاشم، ومشى عبد المطّلب إلى رجالات قريش، فسألهم النصرة على عمِّه نوفل، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمّك.

فلما رأى عبد المطّلب ذلك كتب إلى أخواله في المدينة يصف لهم حال عمَّه نوفل، ويشكوه إليهم، ويطلب من النُّصرة عليه، وقال في أبيات له[1]:

يـا طـولَ ليـلي لأحـزاني وأشـغالي ... هل مِن رسولٍ إلى النَّجَّارِ أخوالي!
يُنبـي عديًّـا ودينـارًا ومازِنَهـا ... ومالـكًا عصمةَ الجـيرانِ عن حالي
قد كنتُ فيكُم ولا أخش ظُلامةَ ذي ... ظُلـمٍ عزيـزًا منيعًـا ناعـمَ البـالِ
حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزعجني ... عـن ذاكَ مُطَّلِـبٌ عمِّـي بترحـالِ
وكنـتُ مـا كان حيًّـا ناعـمًا جـذِلًا ... أمـشي العِرَضْنَـةَ سـحَّابًا لأذيـالي
فغـابَ مُطَّلِـبٌ في قعـرِ مُظلِمـةٍ ... وقـامَ نوفـلُ كـي يعـدو عـلى مالي
أأن رأى رجـلًا غابـت عُمومتُـهُ ... وغـابَ أخوالُـهُ عنـهُ بـلا والِ؟
أنحـى عليـهِ ولم يَحفـظْ لـهُ رَحِمًـا ... ما أمنـعَ المـرءَ بـينَ العـمِّ والخالِ!
فاسـتنفروا وامنعوا ضيمَ ابنِ أختكِمُ ... لا تخذلـوه ومـا أنتـم بِخُـذَّالِ
مـا مثلُكُـم في بنـي قحطـانَ قاطبةً ... حـيٌّ لجـارٍ وإنعـام وإفضـالِ
أنتـم ليـانٌ لَمَـن لانـتْ عريكتُـهُ ... سِـلْمٌ لكُم وسِـمامُ الأَبْلَخِ[2] الغالي

وأسرع إليه خاله من المدينة أبو أسعد بن عدي النجاري في ثمانين راكبًا، حتى أتى الأبطح، وبلغ عبد المطّلب قدومهم فخرج يتلقَّاهم، فقال: المنزل يا خال!

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٠).
(٢) الأبلخ: المتكبر.

فقال أسعد: أمَّا حتى ألقى نوفلًا فلا.

قال عبد المطّلب: تركته جالسًا في الحجر في مشايخ قريش، فأقبل أسعد حتى وقف على رأس نوفل، ثم استلّ سيفه، وقال: وربّ هذه البنيّة -يقصد الكعبة المشرفة- لتردنَّ على ابن أختنا حقّه، أو لأملأنّ منك السيف.

قال نوفل: فإني وربّ هذه البنيّة أردّ حقه.

فأشهد عليه أسعد من حضر، ثم قال: المنزل يا ابن أختي، وأقام عنده ثلاثًا واعتمر.

وتولى عبد المطّلب بن هاشم بعد عمِّه المطّلب السقاية والرفادة، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون، وما كانوا يبذلونه، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحدٌ من آبائه، وأحبّه قومه، وعظُم خطره فيهم، وصار له شأن، وازداد أمره حين كشف عن بئر زمزم مع ابنه الحارث.

يقول عبد المطّلب: إني لنائم في الحجر؛ إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طيبة[1]. قال: قلت: وما طَيبةُ؟ قال: ثم ذهب عنِّي، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر برّة[2]. قال: وما برَّة؟ قال: ثم ذهب عنِّي، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة[3]. قال: فقلتُ: وما المضنونةُ؟ قال: ثم ذهب عنِّي، فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم. قال: قلتُ: وما

(١) قيل لزمزم طيبة؛ لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم.
(٢) قيل لها برّة؛ لأنها فاضت على الأبرار، وغاضت عن الفجار.
(٣) قيل لها مضنونة؛ لأنها ضنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلّع منها منافق.

زمزمُ؟ قال: لا تنزِفُ[1] أبدًا ولا تُذمُّ[2]، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدَّم، عند نُقرة الغُرابِ الأعصَم[3]، عند قرية النَّملِ.

قال ابن إسحاق: «فلـمَّا بُيِّن له شأنُها، ودُلَّ على موضعها، وعَرَف أنَّه قد صُدِق؛ غدا بمِعْوَلِهِ ومعه ابنه الحارث بن عبد المطّلب، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلـمَّا بدا لعبد المطّلب الطَّيُّ[4] كبرَّ، فعرفت قُريشٌ: أنَّه قد أدرك حاجتَه.

فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطّلب، إنَّها بئر أبينا إسماعيل، وإنَّ لنا فيها حقًّا، فأشركنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعلٍ، إنَّ هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم، وأُعطيته من بينكم.

قالوا له: فأنصفنا، فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نُخاصمك فيها.

قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنة بني سعدٍ بن هُذَيم. قال: نعم.

قال: وكانت بأشراف[5] الشَّام، فركب عبد المطّلب ومعه نفرٌ من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفرٌ. قال: والأرضُ إذْ ذاك مفاوزُ.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فَنيَ ماء عبد المطّلب

---

(١) لا تنزف: لا يفرغ ماؤها، ولا يلحق قعرها.

(٢) لا تذم: لا توجد قليلة الماء؛ تقول: أذمّت البئر: إذا وجدتها قليلة الماء.

(٣) الأعصم: الذي في جناحه بياض، وقيل غير ذلك.

(٤) الطِّي: الحجارة التي طوي بها البئر.

(٥) أشراف الشام: ما ارتفع من أرضه.

وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنَّا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطّلب ما صنع القوم، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا ترون؟

قالوا: ما رأْيُنا إلا تبعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت.

قال: فإني أرى أن يحفرَ كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجلٌ دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلًا واحدًا، فضيعةُ رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعةِ ركبٍ جميعًا.

قالوا: نِعْمَ ما أمرت به.

فقام كلُّ واحدٍ منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا، ثم إنّ عبد المطّلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا.

وتهيئوا للارتحال، حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدّم عبدالمطّلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفِّها عينٌ من ماءٍ عذب، فكبَّر عبد المطّلب، وكبَّر أصحابه، ثم نزلَ فشربَ وشربَ أصحابُه واستقوا حتى ملَؤوا أسقيتهم.

ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلمُّوا إلى الماء، فقد سقانا الله، فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قُضي لك علينا يا عبد المطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدًا، إنّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سِقايتك راشدًا.

فرجعَ ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وحالوا بينه وبينها.

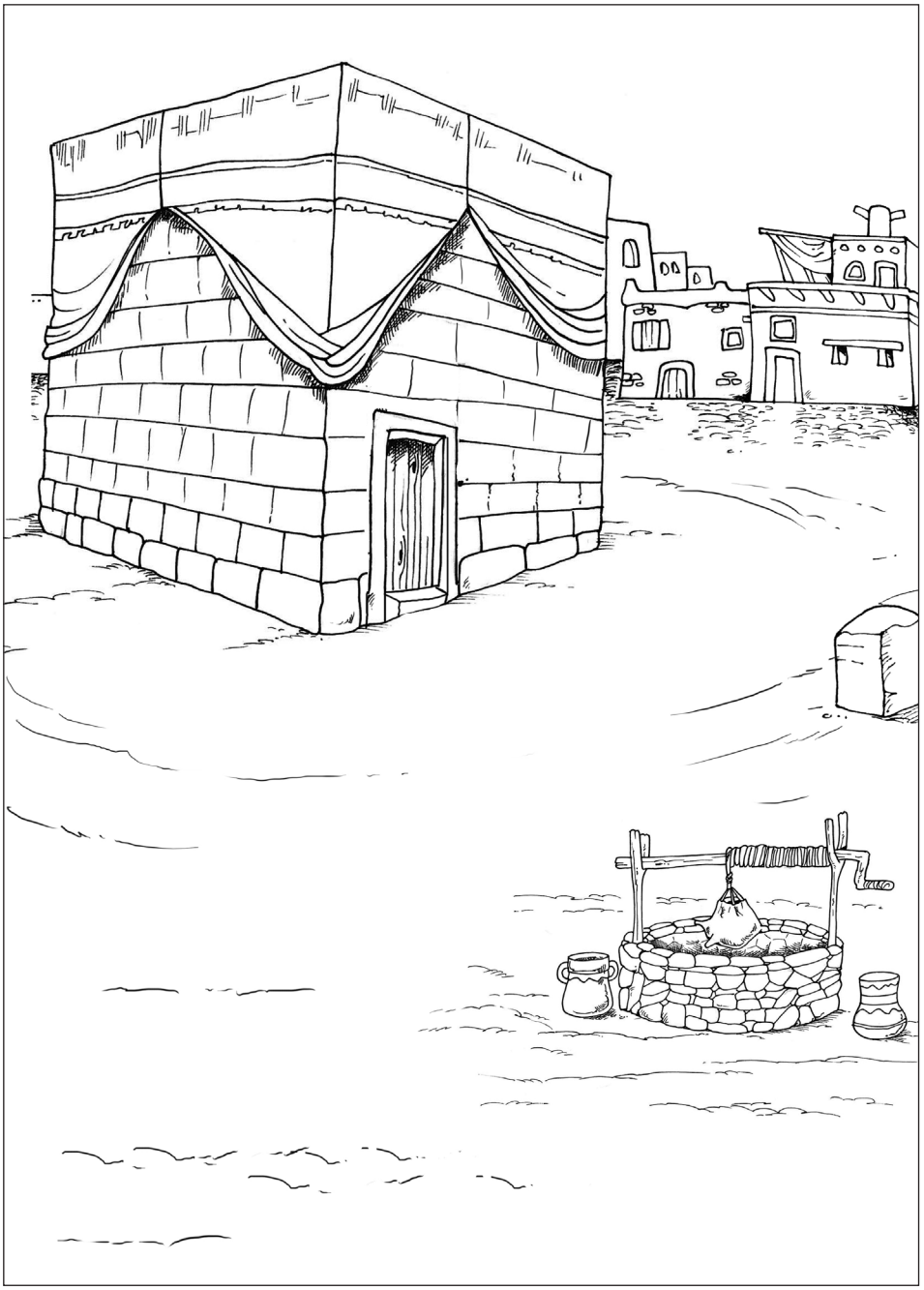

وكان عبد المطّلب حين همَّ بحفر زمزم وجد مقاومة من قريش، ولم يكن له من الولد آنذاك سوى الحارث، وكان الحفر بين وثنَيّ قريش؛ إساف، ونائلة، اللَّذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها.

ولما قام عبد المطّلب ليحفر، ورأت قريش منه الجدَّ، قاموا إليه، وقالوا له: لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللَّذين ننحر عندهما.

فقال عبد المطّلب لابنه الحارث: ذُدْ عنِّي حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أُمرِتُ به.

ولما عرفت قريش أنه جاد، وغير تارك الحفر، خلُّوا بينه وما أراد، وكفُّوا عنه وتركوه يحفر، فلم يلبث عبد المطّلب إلا اليسير، حتى بدا له الطيّ فكبّر، وعرف أنه قد صُدِقَ.

ونذر لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة.

ومضت الأيام، وازداد شأنه وعلا أمره، ونمت أسرته، ورزقه الله من الولد عشرة نفر، ومن البنات ستًّا، وعند ذلك، جمع أبناءه وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقال بنوه: كيف نصنع؟

قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحًا، ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَلَ في جوف الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدَى للكعبة.

وقال عبد المطّلب لصاحب القِداح: اضرِب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبرَه بنذره الذي نذر.

فأعطاه كلُّ رجل منهم قدحَه الذي فيه اسمه، وكان عبدالله أحبَّ ولد عبد المطّلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ.

فلما أخذ صاحب القِداحِ القِداحَ ليضرب بها، قام عبد المطّلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القِداحِ، فخرج القدحُ على عبدالله، فأخذ عبد المطّلب بيده وأخذَ الشفرةَ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطّلب؟ قال أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُذرَ فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحَهُ، فما بقاء الناس على هذا؟

وقال له المغيرة بن عمرو بن مخزوم بن يقظة، وكان عبدالله ابن أخت القوم، والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذرَ فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرَّافة فسلها، ثم أنت على رأس أمرك: إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرجٌ قبلته.

فانطلقوا إلى العرافة فسألوها، وقصَّ عليها عبدُ المطّلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذرَه فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطّلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا عشرٌ من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم، وقرّبوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا أمرهم على ذلك قام عبد المطّلب يدعو الله، ثم قرّبوا عبدالله وخبره وخبر ابنه، وما أراد بهُ عشرًا من الإبل، وعبد المطّلب قائِمٌ عند هُبل يدعو الله عزَّ وجلّ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت ثلاثين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ أربعين، وقام عبد المطّلب يدعو الله،

ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل مئةً، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطّلب. فزعموا أن عبد المطّلب قال: لا والله، حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبدالله وعلى الإبل، وقام عبد المطّلب يدعو الله، فخرج القدحُ على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطّلب قائمٌ يدعو الله، فضربوا، فخرج القدحُ على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبد المطّلب قائمٌ يدعو الله، فضربوا، فخرج القدحُ على الإبل؛ فنُحِرت، ثم تُركت لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ ولا يُمنع.

ونجا والد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالله من الذبح، وتزوج السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكان والدها سيّد بني زهرة نسبًا وشرفًا.

وكانت آمنة أفضل نساء قريش نسبًا وموضعًا، وتوفي عبدالله والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بطن أمّه، وبعد ولادة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تولاه جدّه عبد المطّلب، حتى بلغ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانيَ سنين، وعندها توفي عبد المطّلب، وكان قد عهد برعاية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عمّه أبي طالب؛ لأن أبا طالب وعبدالله والد الرسول أخوان لأبٍ وأم، فأمُّهما فاطمة بنت عمرو ابن عائذ المخزومية.

وتبارى الشعراء في رثاء عبد المطّلب، وذكر محاسنه. يقول أحدهم:

أعينيَّ جودا بالدمـوعِ على الصَّدرِ ... ولا تسـأما أُسـقيتُما سـبلَ القطرِ[1]
على شـيبةِ الحمدِ الذي كان وجُهُه ... يـضيءُ سـوادَ الليلِ كالقمـرِ البدرِ
طوى زمزمًا عنـد المقامِ فأصبحت ... سـقايتُهُ فخـرًا عـلى كلِّ ذي فخـرِ

ولما توفي عبد المطّلب وَلِيَ زمزم والسقاية عليها من بعده العباس بن عبد المطّلب، وهو يومئذٍ أصغر أخوته سنًّا، فلم تزل إليه حتى الإسلام وهي بيده، فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى من ولايته.

هذا هو جدُّ رسول الله ﷺ الأول.

أما جدّه الثاني، هاشم بن عبد مناف، فكان يقال: إن اسمه عمرو، وإنما سُمِّي بهاشم؛ لأنه أوّل من هشم الثريد لقومه بمكة، وأطعمهم إياه؛ وذلك أنه أصابت قريش سنة قحط، فرحل إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق، وقدم به إلى مكة، وأمر به فخُبزَ له، ونحر جزورًا، ثم اتّخذَ لقومه مَرَقَةً ثريدًا بذلك الخبز.

ويروى أن هاشمًا هو أول من سنّ الرحلتين لقريش؛ رحلة الشتاء، ورحلة الصيف.

يقول الشاعر ابن الزِّبَعرَى:

عَمْـرو الّـذي هَشَـمَ الثّريـدَ لِقَوْمِهِ ... قَـوْمٌ بِمَكّـةَ مُسْـنِتينَ عِجـافِ[2]
وهـو الـذي سـنَّ الرحيـلَ لقومِـهِ ... رِحَـلَ الشّـتاءِ وَرِحْلَـةُ الْأَصْيـافِ

---

(١) السبل: المطر.

(٢) المسنتين: الذين أصابتهم السنة الجدبة الشديدة.

وكان هاشمٌ قد وَلِيَ بعد أبيه عبد مناف السقاية والرفادة، وكان موسرًا، وكان إذا حضر الحجاج قام في قريش، فقال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوَّار الله وحجاج بيته، وهم ضيوف الله، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفهُ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعامًا، أيامهم هذه التي لا بدّ لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع ذلك ما كلفتكموه.

ويستجيب أهل مكة لندائه، ويُسهم رجال قريش كلٌّ بقدر ما عنده، ويصنع للحجاج طعامًا، حتى يصدروا من مكة.

والجدّ الثالث لرسول الله هو عبد مناف الذي يسمّى بالقمر لجماله وحسنه، واسم أمه حُبَّى بنت حُليل من خزاعة.

وقيل: إن سبب تسميته بعبد مناف أن أمّه دفعته إلى أعظم صنمٍ في مكة (مناف)[1]؛ تدينًا منها بذلك، فغلب عليه اسم عبد مناف، وإلا فإن اسمه المغيرة بن قُصي.

هذا وقد شرُف عبد مناف في زمان أبيه قُصي، وذهب كل مذهب، حتى إن والده قُصيًّا لما كَبُر ورقَّ عظمه، ورأى هذه المكانة لعبد مناف وهذا الجاه، قال لابنه البكر عبد الدار: أما والله يا بني لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكونَ أنت تفتحها له، ولا يَعقدُ لقريش لواءً لحربٍ بها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحدٌ من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك، ولا تقطع قريشٌ أمرًا من أمورها إلا في دارك، فأعطاه دار الندوة التي لا تَقْضي قريشٌ أمرًا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

---

(١) مناف: صنم بمكة. الطبري (٢/ ٢٥٤). أما مناة: فهي للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب. الروض الأنف (١/ ١٧٣).

وبهذا جعل قُصي كل ما بيده من أمر قومه إلى بني عبد الدار، وكان قُصي لا يُخالَفُ ولا يُرَدُّ عليه شيءٌ صنعه.

إلا أنه بعد وفاة قُصي وتفرق الأبناء، رأى بنو عبد مناف بن قُصي، وهم عبد شمس، وهاشم، والمطّلب، ونوفل، أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصي مما كان قد جعله لعبد الدار من الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك.

وتفرقت قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف، وطائفة مع بني عبد الدار، وتطور الخلاف، وكادت الحرب تقع بين الفريقين، لولا صوت عاقل دعا إلى الصلح، وأن تكون لبني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فقبل الفريقان وتراضوا، وتحاجز القوم عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا حِلْفَ في الإسْلامِ، وأَيُّما حِلْفٍ كانَ في الجاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإسْلامُ إلَّا شِدَّةً**»[1].

ويريد رسول الله ﷺ بذلك الاتفاق على الخير ونصرة الحق.

أما الجدُّ الرابع فهو قُصي بن كلاب بن مرة، واسمه زيد، ولكن غلب عليه اسم قُصي، وذلك أن والده تزوج أم قُصي فاطمة بنت سعد بن سيل من أزد شنوءة، فأنجبت له ولدين، سمَّاهما زهرة وزيدًا، ثم توفي كلاب، وتزوجت من بعده بربيعة بن حرام من بني عذرة بن قضاعة، وارتحلت معه بابنها زيد إلى دياره بقضاعة بأشراف الشام. وزيد صغير في مرحلة الفطام، وأنجبت من زوجها الثاني أخاه لأمه رزاح بن ربيعة، وكان لربيعة امرأة أخرى أنجبت له ثلاثة أبناء.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٦٠ رقم٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم. وأخرج البخاري القطعة الأولى منه (٥/ ٥٨٧ رقم٢٢٩٤).

وشبَّ زيدٌ في حجر زوج أمّه ربيعة، وسُمِّي قُصيًّا لبُعد ديار آبائه عن الشام.

وبينما زيد بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمي إلَّا إلى ربيعة بن حرام، صار بينه وبين رجل من قضاعة خلاف.

فأنَّبَه القضاعي بالغربة، وقال له: ألا تلحق بقومك ونسبك، فإنك لست منَّا، فرجع قُصي إلى أمّه، وقد وجد في نفسه مما قاله القضاعي، فسألها عمَّا قاله له ذلك الرجل، فقالت له: أنت والله يا بُني أكرم منه نفسًا ووالدًا، أنت ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، وقومك بمكة عند البيت الحرام، وفيها حوله.

فقرَّر قُصي الخروج إلى قومه، واللَّحاق بهم، وكَرِهَ الغربة بأرض قضاعة.

فقالت له أُمُّه: يا بني لا تَعجّل بالخروج حتى يدخل عليك الشهرُ الحرام، فتخرج في حاج العرب، فإني أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس.

وانتظر قُصي حتى دخل الشهر الحرام، وخرج حاج قضاعة، فخرج معهم حتى قدم مكة، ولما فرغ قُصي من الحج أقام بمكة، وكان رجلًا جلدًا ألمعيًّا طموحًا، وكان أمر البيت وإمارة مكة بعد جرهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني بكر وخزاعة، ثم انفردت خزاعة بالأمر، وصار الشأن لهم يتوارثونه كابرًا عن كابر.

وكانت قريش جماعات متقطّعة، وبيوت متفرقة في قومهم من بني كنانة.

ثم إن قُصي بن كلاب بعد أن استقر به المقام بمكة، خطب إلى حليل ابن حبشيّة بن سلول بن كعب الخزاعي آخر من ولي البيت من خزاعة، فزوجه ابنته حبَّى بعد أن عرف حُليل نسبه ومكانته.

ومضت الأيام وتوفي حُليل الخزاعي، وعلا شأن قُصي وعظُم أمره، وانتشر ولده، وكثُر ماله، ورأى أنه أولى بالكعبة وبإمارة مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشًا خيار ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأنهما صريح ولده، وأن الشأن يجب أن يكون لهم.

ولهذا كلّم رجالًا من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فقبلوا دعوته وبايعوه على ذلك، واستنجد بقضاعة، فكتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة ابن حرام، وهو ببلاد قومه قضاعة، ودعا أخاه إلى نصرته والقيام معه.

واستجاب الأخ لأخيه، فقام رزاح بن ربيعة في قضاعة يدعوهم، ويطلب منهم المدد ونُصرة أخيه في مكة، والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم، وقدم رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه؛ حسن بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلهمة بن ربيعة، وجَمْعٌ من قُضاعة.

وخرج قُصي بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة، وقاتلوا خزاعة وبني بكر حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعًا، ثم إنهم تداعوا للصلح، وإلى أن يحكّموا بينهم رجلًا من العرب، فحكّموا يَعْمُر بن عوف ابن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، فقضى بينهم بأنَّ قُصيًّا أولى بالكعبة وأمْر مكة من خزاعة، وأن كلَّ دمٍ أصابه قُصي من خزاعة وبني بكر موضوعٌ يَشْدخُه تحت قدميه؛ أي يبطله.

وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة، ففيه الدِّية مؤدَّاة، وأن يُخلَّى بين قُصي وبين الكعبة ومكة.

ووَلِيَ قُصي البيت وأمْرَ مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، وخرجت خزاعة وبنو بكر من مكة.

وكانت إليه الحجابة، وهي أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحدٌ إلا بإذنه.

والسقاية: وهي سقيا زمزم؛ حيث كانوا يصنعون بها شرابًا في الموسم للحاج، ويمزجونه تارة بالعسل، وتارة باللبن، وتارة بالنبيذ، ويفعلون ذلك تطوعًا من عند أنفسهم.

كما صارت إليه الرفادة، وهي طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم، فيأكله من لم يكن له سعةٌ ولا زاد.

وكذلك الندوة، وهي الاجتماع للمشورة والرأي، وكانت الدار التي اتخذها قُصي لذلك يقال لها: دار الندوة.

أما اللواء فهي الراية في الحرب، فلا يُعقد لواء الحرب ويأخذها إلا هو.

وبذلك حاز قُصي شرف مكة كله، وقطَّع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها.

وسمّت قريشٌ قُصيًّا مُجَمِّعًا؛ لأنه جمعهم، وتيمَّنتْ بأمره، فما تُنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءً لحرب قومٍ من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعض ولده.

وكان أمره في قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها.

ولَمَّا توفِّي قُصي صار الأمر والشأن في مكة لأبنائه من بعده، وقال الشاعر:

قُصيٌّ لعمري كان يُدعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَعَ اللهُ القبائلَ من فهرِ[1]

(١) البداية والنهاية (٣/ ٣٥٩).

هؤلاء أجداد المصطفى ﷺ ورثوا المجد كابرًا عن كابر، وطوّقهم سيّد البشر المصطفى ﷺ المجد كله على أهل الأرض كافة، حتى يومنا هذا.

اللهم ارزقنا اتّباعه، واهدنا طريقه المستقيم، واجعلنا من روّاد حوضه ﷺ.

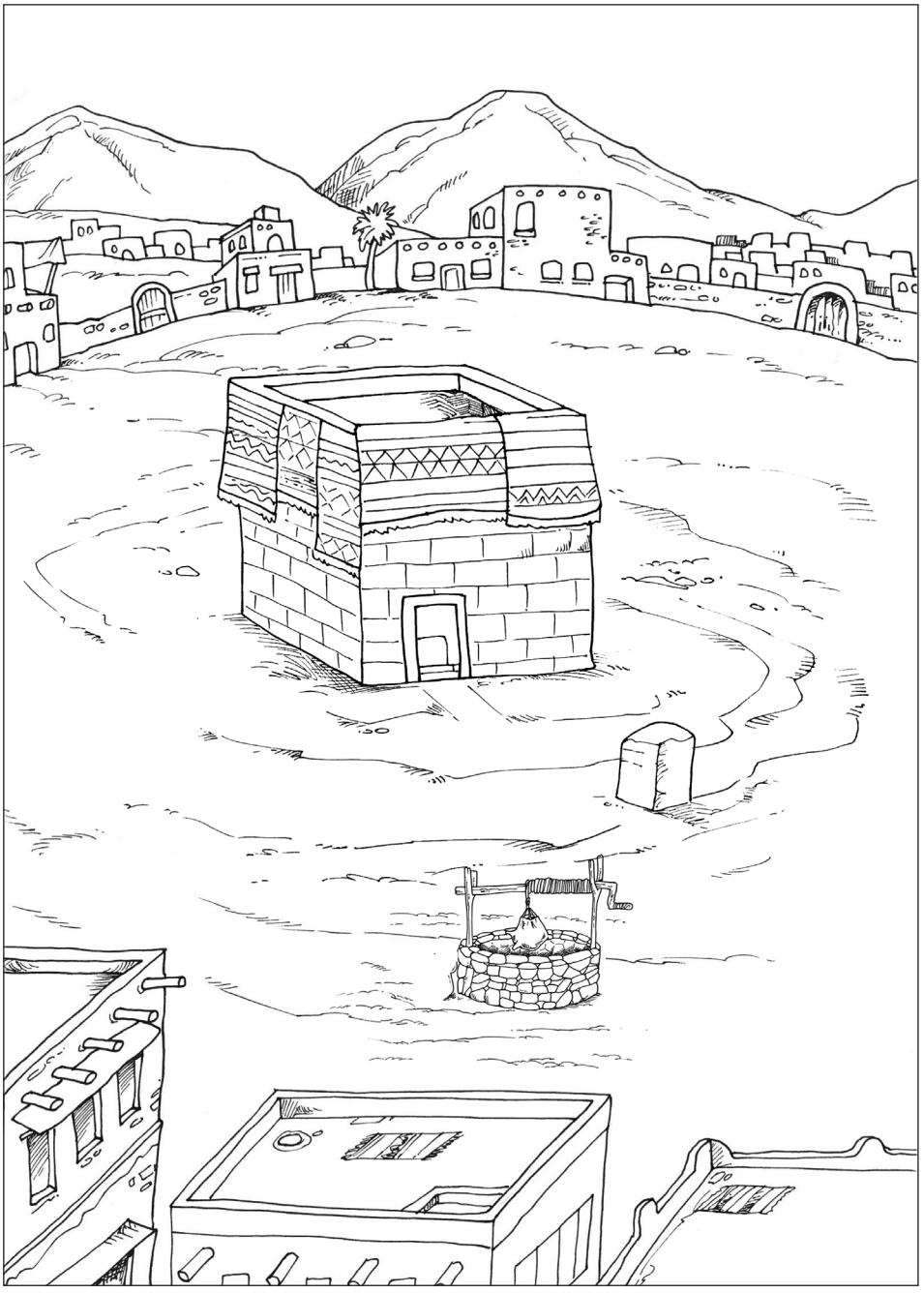

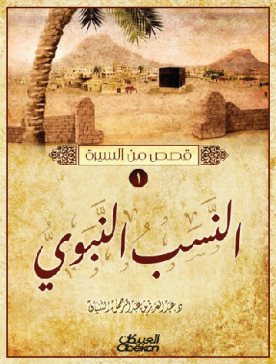

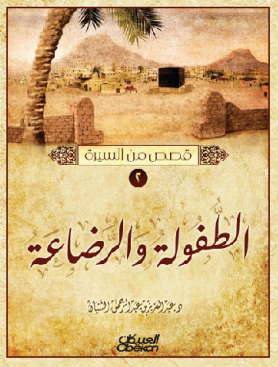

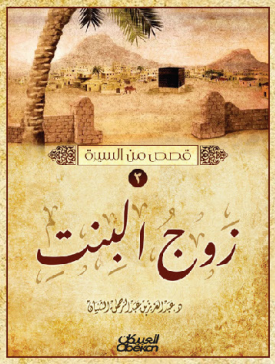

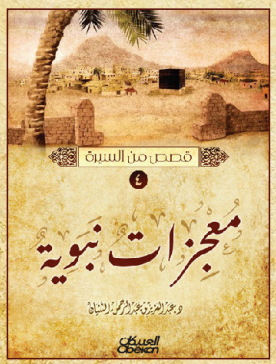

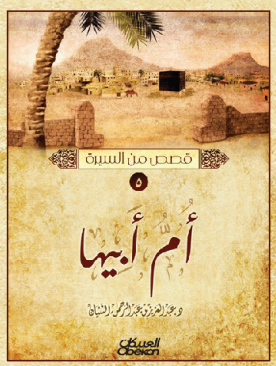

ISBN:9786035094580

السيرة النبوية

تواصل معنا
CONTACT US